

سلسلة الرسائل الدعوية (١)

مواقف النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعوة إلى الله تعالى

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

مواقف النبي ﷺ

في الدعوة إلى الله تعالى

تأليف الفقير إلى اللَّه تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في «**مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى**» بينت فيها مواقف النبي الكريم ﷺ في دعوته إلى الله تعالى قبل الهجرة وبعدها. والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل اليسير مباركاً، نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه تعالى خير مسؤول، وأكرم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر ضحى يوم الخميس ١٤٢٥/٢/٢٥هـ

تمهيد: مكانة مواقف النبي ﷺ في نفس الداعية والمدعو

للنبي ﷺ مواقف حكيمة مشرفة، والداعية إلى الله حينما يقف ويتأمل المواقف التي وقفها النبي ﷺ في دعوته إلى الله يزداد حكمة، ويستفيد من هذه المواقف في دعوته، ويطبق الحكم التي يقتبسها من مواقفه ﷺ في دعوته، فالنبي ﷺ هو الأسوة الحسنة التي ينبغي لكل مسلم أن يلتزمها ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[(١)].

وسأذكر بعون الله – تعالى – في هذه الرسالة نماذج من مواقف النبي ﷺ التي وقفها في دعوته إلى الله تعالى، ومواقفه في هذا الشأن كثيرة جداً لا يستطيع أحد أن يستغرقها، ولكني سأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة.

المبحث الثاني: مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الأول: مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة:

المطلب الأول: مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة السرية

من المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقوَّام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة قوية لا تزلزلها المصائب والكوارث، ويحتاج إلى موقف حكيم يحل الوضع الراهن، وتنجح الدعوة من خلاله، ولاشك أن الفضل والمنة لأحكم الحاكمين الذي ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ (١)، فإنه سبحانه قد أعطى محمداً ﷺ الحكمة ووفقه، وسدده وأعانه.

ولهذا بدأ ﷺ بالدعوة السرية بعد أن أمره ربه – تبارك وتعالى – بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾(٢).

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١-٧.

ومن هنا بدأ رسول الله ﷺ يسلك طريق الحكمة في حل الحالة الراهنة في قريش، فوقف المواقف العظيمة التي يعجز عنها عظماء الرجال بل البشر جميعاً.

بدأ ﷺ يعرض دعوته على ألصق الناس به، وأهل بيته، وأصدقائه، ومن توسم فيهم خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عُرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، فكان أول من أسلم زوج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ونشط أبو بكر في دعوة رجال كان لهم أثر عظيم في الإسلام، أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالإضافة إلى علي، وزيد، وأبي بكر، يصبحون ثمانية، هم الذين سبقوا الناس، وهم الرعيل الأول وطليعة الإسلام.

ودخل الناس في دين الله واحداً بعد واحد، حتى فشا الإسلام في مكة، وتُحدِّث به، وقد كان النبي ﷺ يجتمع بهم ويعلمهم ويرشدهم مختفياً؛ لأن الدعوة لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع، وحمي نزوله بعد نزول أوائل المدثر، ولم يكن ﷺ يظهر

الدعوة في مجامع قريش العامة، ولم يكن المسلمون الأوائل يتمكنون من إظهار دينهم وعبادتهم، حذراً من تعصب قريش لجاهليتها وأوثانها، وإنما كانوا يخفون ذلك[1].

ولقد بلغ المسلمون عدداً يقرب الأربعين رجلاً، ومازالت الدعوة سراً لم يجهر بها بين صفوف قريش؛ لأن الرسول الحكيم ﷺ يعلم أن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى يصيب به قريش المسلمين، وكان من الضروري أن يجتمع بهم رسول الله ﷺ على شكل جماعات يرشدهم، ويعلمهم؛ ليكوِّن منهم القاعدة الصلبة التي يمكن أن يواجه بها أولئك الذين يقفون في وجه دعوة التوحيد، وقد اختيرت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فكان يلتقي بهم على شكل أُسَر يعلمهم أمور دينهم، وكان إلى جانب دار الأرقم – المركز الرئيسي – دور أخرى تكون مراكز فرعية، حيث يذهب إليهم رسول الله ﷺ أحياناً دون انتظام، أو ينتظم فيها الصحابة الذين يختارهم رسول الله ﷺ، مثل دار سعيد بن زيد، ولكن الأرقم بن أبي الأرقم قد فاز بمنقبة عظيمة، وهي اتخاذ داره مركزاً رئيسياً للدعوة أيام ضعفها واستخفائها، وهي أحرج أوقات

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ١/٢٦٤، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي – قسم السيرة –، ص١٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير، ٣/٢٤-٣٧، وزاد المعاد، ٣/١٩، ومختصر سيرته ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب، ص٥٩، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/٥٧، وهذا الحبيب يا محب، ص٩١.

مرَّت بها الدعوة[1].

وهكذا مرت ثلاث سنين، والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هـذه الفتـرة تكونـت جماعـة مـن المـؤمنين تقـوم علـى الأخـوة، والتعاون، وتبليغ الرسالة، وتمكينها من مقامها.

وبعـد أن أسـلم عـم النبـي ﷺ حمـزة بـن عبـد المطلـب وبعـض وجهـاء قـريش، الـذين لهـم شـأن عظـيم، وقويـت بهـم الجماعـة الإسـلامية: كعمـر بـن الخطـاب ﷺ نـزل قولـه تعـالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ**﴾ [2].

وهـذا يـدل دلالـة واضـحة على أن الله ﷻ قد أعطى نبيه الكـريم الحكمـة؛ ولهـذا قـام بهـذه المواقـف الحكيمـة المشـرفة التـي تكـون نبراسـاً للداعيـة إلـى الله يسـير علـى مقتضـاها، وخاصـة فـي دعـوة المجتمعات الوثنية الكافرة، أما المجتمعات الإسلامية فلا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين.

أما سرية الدعوة في عهد النبي ﷺ في أول البعثة؛ فلأن الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسـول الله، ولا أن يؤذنـوا، أو يصـلوا، ولمـا قويـت شـوكته أمـر الله

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٣١/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٦٢/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص٩٧.

(٢) سورة الحجر، الآيات: ٩٤-٩٦.

رسوله بالجهر بالدعوة فجهروا بها، ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين[(١)].

المطلب الثاني: مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال ﷻ: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[(٢)].

فقام رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبين بها حكمة النبي ﷺ وشجاعته، وصبره وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين. ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي:

(أ) موقفه الحكيم في صعوده على الصفا ونداؤه العام:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص٧٥، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٢/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص٩٩.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي**»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾(١).

وفي رواية لأبي هريرة ﷺ أنه ﷺ ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: «**أنقذوا أنفسكم من النار...**»، **ثم قال**: «يا **فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها**»(٢).

وهذه الصحيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا ﷺ قومه – في هذا الموقف العظيم – إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ٥٠١/٨، (رقم ٤٧٧٠)، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، ١٩٤/١، (رقم ٢٠٨)، والآيتان من سورة المسد: ١-٢.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ٣٨٢/٥، ٥٠١/٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ١٩٢/١ (رقم ٢٠٦).

الأوثان، ورغبهم في الجنة، وحذرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يضرب لصرخاتهم حساباً، لأنه مرسل من الله ﷻ، ولابد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ[(١)].

استمر ﷺ يدعو إلى الله – تعالى – ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك رادّ، ولا يصده عن ذلك صادّ، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلَّط عليه وعلى من اتبعه الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب؛ لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان[(٢)]، ومع ذلك لم يفتر محمد ﷺ في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكون هذه الأسر من

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص٧٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٠١، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص٤٧.

(٢) البداية والنهاية، ٣/٤٠.

الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله ﷺ الأمل بعد الله – تعالى – في حمل العبء والمهام الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد ﷺ أن يؤدي الأمانة، ويبلغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في الله حق جهاده، ويرسم لنا طريقاً نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحِكَمِهِ ﷺ.

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وفي أثناء هذه الدعوة يركز على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوَّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة[1].

ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله ﷺ إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلص بالاغتيال من أفراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي

(١) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٥/٢.

لهب: عبد العزى ابن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أُبّي بن خلف، أو أُمية بن خلف...، وهؤلاء هم من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ، فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يُؤْدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كرد فعل من أعداء الإسلام، الذين يتكالبون على حربه، والنبي ﷺ لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ﷺ(١).

(ب) صموده وثباته أمام ممثلي قريش واضطهادهما:

رأت قريش أن تجرب أسلوباً آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد والنصر

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٢/٦٥.

لمحمد ﷺ، وتطلب منه أن يكف عنها محمداً ودينه[1].

وكانت أساليبهم كالآتي:

١- **جاءت سادات قريش** إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي ﷺ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي ﷺ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّد في التراب دفينا

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤١/٣، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٢.

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيونا[1]

٢- **بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب**، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تتقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله ﷺ، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله ﷺ أموراً لعله يقبل بعضها فيُعطَى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة[2] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً، تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ: «**قل أبا الوليد أسمع**»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٢٧٨/١، وانظر: البداية والنهاية، ٤٢/٣، وفقه السيرة للغزالي، ص١١٤، والرحيق المختوم، ص٩٤.

(٢) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة (سطا)، ص٢٧٦، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص١٦٧٠.

سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «**أفرغت أبا الوليد؟**» قال نعم، قال: «فاستمع مني» قال: افعل، فقال: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم * حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ...**﴾[1]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**»[2].

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ**

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ١-٥.

(٢) أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي، ٣١٣/١ من سيرة ابن هشام، قال الألباني: «وإسناده حسن إن شاء الله». انظر: فقه السيرة للغزالي، ص١١٣، وتفسير ابن كثير، ٦١/٤، والبداية والنهاية، ٦٢/٣، والرحيق المختوم، ص١٠٣.

وَثَمُودَ﴾[1]، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمداً وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك[2].

لقد تخير رسول الله ﷺ بفضل الله – تعالى - ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً ﷺ يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمداً ﷺ قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله ﷻ يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمد ﷺ أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكنه الله من هذا كله، فعف عنه وترفع أن يمد يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، ﷺ[3].

وهذا موقف من أعظم مواقف الحكمة التي أوتيها النبي ﷺ، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا ملكاً، ولا نكاحاً، من أجل أن يتخلى عن دعوته، وقد اختار الكلام

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ٣/٦٢، وتفسير ابن كثير، ٤/٦٢، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص١٥٨، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١١٤، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٠٢.

(٣) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١١٣.

المناسب في الموضع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

٣- **قرر المشركون ألا يألوا جهداً** في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلى الله، وبين أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!

واتهموا النبي ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره(1).

لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي على النبي ﷺ ليعفر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٠٦، والرحيق المختوم، ص٨٠، ٨٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/٨٥، و٨٨، و٩١، و٩٣، و٩٤، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١١٠.

قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم[1] منه إلا وهو ينكص على عقبيه[2]، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**». قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿**كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى**﴾ إلى آخر السورة[3].

وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله – تعالى –، فضحى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

٤- **ومما أُصيب به محمد** ﷺ من الأذى بتحريض هذا الطاغية ما رواه ابن مسعود ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا[4] جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه

---

(١) ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي، ١٧/١٤٠.

(٢) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق ١٧/١٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: ﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ ٤/٢١٥٤، (رقم ٢٧٩٧)، وانظر: شرح النووي، ١٧/١٤٠.

(٤) السلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: =

على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم[1] فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «**اللَّهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللَّهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر[2].

٥- ومن أشد ما صنع به المشركون ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني

=
المشيمة. انظر: شرح النووي، ١٥١/١٢.

(١) هو عقبة بن أبي معيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه، ١٤١٩/٣.

(٢) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، ٣٤٩/١ (رقم ٢٤٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٨/٢ (رقم ١٧٩٤).

بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾(1).

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم وعصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتَمَّنَّ هذا الأمر،**

(1) سورة غافر، الآية: ٢٨.

والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧ (رقم ٣٨٥٦)، وكتاب التفسير، سورة المؤمن ٥٥٣/٨ (رقم ٤٨١٥)، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»، ٢٢/٧ (رقم ٣٦٧٨). واللفظ ملفقّ من كتاب المناقب، وكتاب التفسير.

حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافاتها الوثنية.

٦- **لقي النبي ﷺ أشد الأذى،** ووصل الأمر إلى تغيير اسمه ﷺ احتقاراً له ولدينه، وحسداً وبغضاً له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى[2].

قال ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد**»[3].

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٩، (رقم ٣٦١٢)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ٧/١٦٤، (٣٨٥٢)، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ١٢/٣١٥، (٦٩٤٣)، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعقوفين من مناقب الأنصار.

(٢) انظر: فتح الباري، ٦/٥٥٨.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦/٥٥٤، (رقم ٣٥٣٣).

والنبي ﷺ له خمسة أسماء ليس منها مُذَمَّماً[١].

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب – حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن – إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا[٢]

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب – فقد مات منهم من مات، وعذب من عذب حتى عمي وهو تحت العذاب – فأذن رسول الله لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ٦/٥٥٤، (رقم ٣٥٣٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ١/٣٧٨، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير، ٤/٥٢٣.

عفان ﷺ، ذهبوا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفوا عن النبي ﷺ فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشاً أشد ما كانوا عداوة لرسول الله ﷺ فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار – كابن مسعود – أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسعة عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله ﷺ عام خيبر(١).

٨- **ولما رأت قريش انتشار الإسلام**، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ٣/٢٣، ٣٦، ٣٨، والرحيق المختوم، ص٨٩، وهذا الحبيب يا محب، ص١٢٠، وسيرة ابن هشام، ١/٣٤٣، والبداية والنهاية، ٣/٦٦، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/٩٨، ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص١٨٣.

لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحُبِسَ رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عليهم الطعام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله ﷻ، فأخبر عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفراً إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد

ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك[1].

ولما نُقِضَت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرئوا عليه فكاشفوه الأذى، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه[2].

المطلب الثالث: مواقف النبي ﷺ بعد خروجه إلى الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة بعد النبوة، خرج النبي ﷺ إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

١- موقفه الحكيم في دعوته لأهل الطائف:

عندما وصل إلى الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه رداً قبيحاً، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/٣٠، وسيرة ابن هشام، ١/٣٧١، البداية والنهاية، ٣/٦٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/١٠٩، و١٢٧، و١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي – قسم السيرة، ص١٢٦، ١٣٧، والرحيق المختوم، ص١١٢.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٣/٣١، والرحيق المختوم، ص١١٣.

الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشَبَيْن على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما(1).

٢- حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال**(2)**، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أسْتَفِق إلا بقرن الثعالب**(3)**، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال:**

---

(1) انظر: زاد المعاد، ٣/٣١، والرحيق المختوم، ص١٢٢، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٣٢، والبداية والنهاية، ٣/١٣٥.

(2) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح، ٦/٣١٥.

(3) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح، ٦/١١٥.

إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت[1]؟ إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين». فقال له رسول الله ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»[2].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخُلق العظيم الذي أمده الله به.

وفي ذلك بيان شفقته على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[4]. فصلوات الله وسلامه عليه[5].

(١) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري، ٣١٦/٦.

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ٣١٢/٦، (رقم ٣٢٣١)، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ١٤٢٠/٣، (رقم ١٧٩٥). وما بين المعقوفين من البخاري دون مسلم.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٥) انظر: البخاري مع الفتح، ٣١٦/٦، والرحيق المختوم، ص١٢٤.

وأقام ﷺ بنخلة أياماً، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فَرُوي عنه[1] أنه قال: «**يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه**».

٣- حكمته في دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي:

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطْعِمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً، فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته[2].

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي ﷺ في رحلته إلى

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣/٣٣.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٣/٣٣، وسيرة ابن هشام، ٢/٢٨، والبداية والنهاية، ٣/١٣٧، والرحيق المختوم، ص١٢٥.

الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبَحَثَ عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في الميدان الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ كان أستاذاً في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قدمي النبي ﷺ – وهو النبي الكريم – أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأخْشَبيْن على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.

ومن حكمته ﷺ أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المُطْعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب[1].

---

(١) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص٥٨، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٣٤.

٤- من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم:

باشر النبي ﷺ دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر، ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله – تعالى –، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً.

وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهلياً، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو

لهب(١).

وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كما تحج العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة(٢).

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه، مر بعقبة مِنَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ(٣).

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة، وكان من بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين

---

(١) أخرجه أحمد، ٤٩٢/٣، ٣٤١/٤، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان، برقم ١٦٨٣، (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، والحاكم في المستدرك بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: «صحيح على شرط الشيخين، رواته كلهم ثقات أثبات»، ١٥/١.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٤٣/٣، ٤٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٣٦/٢، والرحيق المختوم، ص١٢٩، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣، وابن هشام، ٣١/٢.

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٣٧/٢، وهذا الحبيب يا محبّ، ١٤٥/٢، والرحيق المختوم، ص١٣٢، وزاد المعاد، ٤٥/٣، وسيرة ابن هشام، ٣٨/٢، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣.

كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء[(١)].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه**» فبايعناه على ذلك[(٢)].

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك رضي الله عنه أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي ﷺ عند العقبة، وجاءهم على

---

(١) انظر: زاد المعاد، ٣/٤٦، ٤٤، والرحيق المختوم، ص١٣٩، والتاريخ الإسلامي، ٢/١٣٩، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٤٥، وسيرة ابن هشام، ٢/٣٨.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة ٧/٢١٩ (رقم ٣٨٩٢)، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان، ١/٦٤ (رقم ١٨).

موعدهم، ثم تكلم رسول الله ﷺ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: «**تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**»[1]،فقاموا إليه فبايعوه.

وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله ﷺ اثني عشر زعيماً، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى[2].

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ بذلك؛ ولحسن سياسته

(١) أحمد في المسند، ٣٢٢/٣، والبيهقي، ٩/٩، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٦٢٤/٢، وحسن إسناده للحافظ في الفتح، ١١٧/٧.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٤٩/٢، والبداية والنهاية، ١٥٨/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٤٢/٢، والرحيق المختوم، ص١٤٣.

وحكمته أمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى عليّ من صِير الباب[1]، وخرج رسول الله ﷺ، ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة[2].

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشاً قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبناً، ولا فراراً من الموت؛ ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم[3].

---

(١) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة (صار)، ١/٥٣١.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٩٥، والبداية والنهاية، ٣/١٧٥، وزاد المعاد، ٣/٥٤، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص٦١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/١٤٨، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٥٦.

(٣) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٦٨.

المبحث الثاني: مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة

المطلب الأول: مواقف الحكمة في الإصلاح والتأسيس

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

١ – المسلمون، من: الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢ – المشركون، من: الأوس، والخزرج، الذين لم يدخلوا في الإسلام.

٣ – اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعاثٍ ولا يزال في النفوس شيء منها[1].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٢١٤/٣، وسيرة ابن هشام، ١١٤/٢، وزاد المعاد، ٦٢/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٥٩/٢، والرحيق المختوم، ص١٧١، وهذا الحبيب يا محب، ص١٧٤، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٨٨، البخاري مع الفتح، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، ٥٢٤/١ (رقم ٤٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد، =

لقد قام النبي ﷺ بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالآتي:

١ – بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحد بين القلوب:

كان أول عمل قام به ﷺ في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعاً في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ، وكان أول عمل تعاوني عام، وحد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة – قبل قدوم النبي ﷺ مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف، فعندما بُنِيَ المسجد كان مرتكز المسلمين جميعاً، ومكان تجمعهم، يلتقون فيه في كل وقت، ويسألون رسول الله ﷺ فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم[1].

وبهذا تجمعت الأندية، والتفَّت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو

=

باب بناء مسجد النبي ﷺ، ١/٣٧٣، ٣٧٤، (رقم ٥٢٤).

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ٧/٢٣٩، ٢٤٠، (رقم ٣٩٠٦).

رسول الله ﷺ، يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويعلم أمته، فأصبح المسلمون صفاً واحداً، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام[1].

ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبثّ الانطلاقات، وموضعاً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله ﷺ بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها[2].

٢ – دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم:

ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي ﷺ بعد أن

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٦١/٢، ١٦٢، والرحيق المختوم، ص١٧٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٧٤، وفقه السيرة، ص١٨٩، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٨٠.

دخل المدينة – الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام رضي الله عنه ودعوتهم إلى الإسلام.

فعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبرني بهن آنفاً جبريل**» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**» [قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنك رسول اللَّه]، قال: يا رسول اللَّه، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، [فأرسل نبي اللَّه ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا اللَّه فواللَّه الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول اللَّه حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا**»، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ -قالها ثلاث مرات – فقال رسول اللَّه ﷺ: «فأي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام؟» قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا للَّه ما كان ليسلم، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟» قالوا: حاشا للَّه ما كان ليسلم، قال: «**أفرأيتم إن**

أسلم؟» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**يا ابن سلام اخرج عليهم**»، فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا]، ووقعوا فيه[1].

وهذه أول تجربة تلقاها رسول الله ﷺ من اليهود عند دخول المدينة[2].

ومن حسن سياسته ﷺ أنه وافق على إخفاء عبد الله بن سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي ﷺ. ثم ضبطهم ﷺ بالمعاهدة التي ستأتي.

٣ – المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كما قام النبي ﷺ بالبدء ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية[3].

---

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب أحاديث الأنبياء، ٣٦٢/٦، وفي كتاب مناقب الأنصار، ٢٥٠/٧ (رقم ٣٩١١)، ٢٧٢/٧ (رقم ٣٩٣٨)، والألفاظ من المواضع الثلاثة، وانظر أيضاً: البخاري مع الفتح، ١٦٥/٨، والبداية والنهاية، ٢١٠/٣.

(٢) انظر: الرحيق المختوم، ص١٧٥، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٧٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٩٨، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٧٣/٢.

(٣) انظر: هذا الحبيب يا محب، لأبي بكر الجزائري، ص١٧٨.

آخى بينهم ﷺ في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله ﷻ: **﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾**[1]، ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة[2].

ذابت عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية[3].

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا كلاماً يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر[4].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: ٧٥.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٣/٦٣، والرحيق المختوم، ص١٨٠.

(٣) انظر: زاد المعاد، ٣/٦٣، والرحيق المختوم، ص١٨٠.

(٤) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/١٦٥، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص١٩٢.

ومن أروع الأمثال لذلك ما رواه البخاري في صحيحه "آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، فأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدوة ثم جاء يوماً وبه أثر صُفرة، فقال النبي ﷺ: «**مَهْيَم؟**»[1]، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: «**ما سقت فيها؟**» قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: «**أولِم ولو بشاة**»[2].

٤ – التربية الحكيمة:

وقد كان ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة[3].

---

(١) مهيم: كلمة استفهام، أي: ما حالك، وما شأنك؟ انظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الميم، ص١٤٩٩.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ١١٢/٧ حديث رقم ٣٧٨٠، ٣٧٨١، واللفظ من الموضعين، وانظر: باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، في الكتاب السابق نفسه.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، ص١٧٩، ١٨١، ٢٠٨، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ١٦٥/٢.

فقد كان يقول ﷺ: «**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(١).

ويقول: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٢)، «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٣).

ويقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٤).

ويقول: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبك بين أصابعه(٥).

ويقول: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو**

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار، ٦٥٢/٤ (رقم ٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، ١٠٨٣/٢، (رقم ٣٢٥١)، والدارمي، ١٥٦/١، وأحمد، ١٦٥/١، ٣٩١/٢، وانظر: صحيح الترمذي، ٣٠٣/٢.

(٢) مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم إيذاء الجار، ٦٨/١ (رقم ٤٦).

(٣) البخاري مع الفتح، في كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، ٥٤/١ (رقم ١١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي الأمور أفضل، ٦٥/١ (رقم ٤١)، واللفظ له.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ٥٦/١ (رقم ١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ٦٧/١ (رقم ٤٥).

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد، ٥٦٥/١ (رقم ٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ١٩٩٩/٤، (رقم ٢٥٨٥).

المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله وعرضه**»[(١)].

وقال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(٢)].

وقال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظِروا هذين حتى يصطلحا، انظِروا هذين حتى يصطلحا، انظِروا هذين حتى يصطلحا**»[(٣)].

وقال: «**تعرض الأعمال في كل يوم خميس وإثنين فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يُشرك بالله شيئاً إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا[(٤)] هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا**»[(٥)].

---

(١) مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله، ١٩٨٦/٤ (رقم ٢٥٦٤).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الهجر، وقول الرسول ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ١٩٨٦/٤، (رقم ٢٥٦٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ١٩٨٧/٤، (رقم ٢٥٦٥).

(٤) اركوا هذين: أي أخروا، يقال: ركاه، يركوه ركوا، إذا أخره، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٢/١٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ١٩٨٨/٤، (رقم ٣٦/٢٥٦٥).

وقال ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره**»[1].

وقال: «**حق المسلم على المسلم ست**»، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه**»[2].

وعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: «**أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة**» – أو قال: «**في آنية الفضة – وعن المياثر**[3]**، والقسي**[4]**، وعن لبس الحرير،**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ١٩٩٨/٤، (رقم ٢٥٨٤)، بمعناه، وأخرجه أحمد بلفظه، ٩٩/٣، والبخاري مع الفتح في كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ٩٨/٥، (رقم ٢٤٤٣، ٢٤٤٤)، وكتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه، ٢٢٣/١٢، (رقم ٦٩٥٢).

(٢) البخاري مع الفتح بنحوه في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ١١٢/٣، (رقم ١٢٤٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، ١٧٠٥/٤.

(٣) المياثر: سروج من الديباج أو الحرير. الفتح، ٢٩٣/١٠.

(٤) ثياب مضلعة بالحرير: أي فيها خطوط منه. الفتح، ٢٩٣/١٠.

والديباج[(١)]**، والإستبرق**»[(٢)].

وقال: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[(٣)].

وسئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[(٤)].

ويقول: «**مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٥)].

وقال ﷺ: «**من لا يرحَم لا يُرحم**»[(٦)].

وقال: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ**»[(٧)].

---

(١) الديباج والإستبرق: صنفان من الحرير. انظر: فتح الباري، ٣٠٧/١٠.

(٢) البخاري مع الفتح، في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ١١٢/٣ (رقم ١٢٣٩)، ٩٩/٥، ٢٤٠/٩، ٩٦/١٠، وانظر مواضع الحديث في البخاري مع فتح الباري، ١١٢/٣.

(٣) مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ٧٤/١، (رقم ٥٤).

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ٥٥/١، (رقم ١٢)، ومسلم في الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، ٦٥/١، (رقم ٣٩).

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، (رقم ٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٢٠٠٠/٤، (رقم ٢٥٨٦).

(٦) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، (رقم ٦٠١٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ١٨٠٩/٤، (رقم ٢٣١٩).

(٧) مسلم، في كتاب الفضائل، الباب السابق، ١٨٠٩/٤.

وقال ﷺ: ((**سُباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر**))[1].

وسواء وصلت هذه النصوص للأنصار من النبي ﷺ مباشرة، أو سمعوا بها من بعض المهاجرين الذين سمعوا من النبي ﷺ قبل الهجرة، فكل ذلك تربية منه ﷺ لأصحابه جميعاً، ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين.

وغير ذلك من النصوص التي ربّى بها محمد ﷺ أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطاً موثقاً يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعاراً بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلاً عن ضرورة الفهم والتدبر.

وهكذا رفع ﷺ معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني.

بمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني مجتمعاً مسلماً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشكلات هذا المجتمع

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/١١٠، (رقم ٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))، (رقم ٦٤).

حلاً بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعاً يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل اللَّه وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فحَريٌّ بالدعاة إلى اللَّه أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ(1).

٥ – ميثاق المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود:

بعد أن قام رسول اللَّه ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها لك ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية، ولم يترك مجالاً لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقاً للمهاجرين والأنصار، متضمناً موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بدلها ﷺ في الإصلاح والتأسيس.

كتب رسول اللَّه ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم(2).

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكمال الحكمة من النبي ﷺ، فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين

---

(1) انظر: الرحيق المختوم، ص١٨٣.

(2) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣/٢٢٤-٢٢٦، وزاد المعاد، ٣/٦٥، وانظر: كتابة الميثاق بين المسلمين ويهود المدينة في سيرة ابن هشام، ٢/١١٩-١٢٣.

اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهذه الخطوات الخمس: **بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين وتربيتهم، وكتابة الميثاق**، هي التي حل بها النبي ﷺ – بفضل **الله** تعالى – الخلاف المستحكم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثار الماضي، ووحَّد بها قلوب المسلمين، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى **الله** من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم(١).

المطلب الثاني: مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة

بعد أن كوَّن النبي ﷺ مجتمعاً متماسكاً بالمدينة، وأصبح هذا المجتمع كتلة واحدة أمام من يريد العاصمة الإسلامية بسوء – وما ذلك إلا بفضل الله ثم بحكمة المصطفى ﷺ – قام ﷺ بالجهاد في سبيل الله، بالقلب واللسان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، فقد أرسل ستاً وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعة وعشرين غزوة(٢).

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، ص١٧١، ١٧٨، ١٨٥، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٦٦/٢، ٦٩/٢، ١٦٠، وهذا الحبيب يا محبّ، ص١٧٦، ١٧٤.

(٢) انظر تلك البطولات الحكيمة في: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة، ٢٧٩/٧، (رقم ٣٩٤٩)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ﷺ، ١٤٤٧/٣، (رقم ١٢٥٤)، وشرح النووي على مسلم، ١٩٥/١٢، وفتح الباري، ٢٨٠/٧، ٢٨١، والبداية والنهاية لابن كثير، ٢٤١/٣، ٢١٦/٥، ٢١٧، وزاد المعاد لابن القيم، ٥/٣.

ومن مواقفه الحكيمة في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ – ما فعله في غزوة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه ﷺ استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه ﷺ يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شُرِطَ له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد ﷺ أن يستشيرهم، فجمعهم ﷺ واستشارهم، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المِقْدَاد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي ﷺ يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من

شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسُرَّ بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»[(١)].

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه – تبارك وتعالى – لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله ﷻ مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله

(١) سقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام، ٢/٢٥٣، وفتح الباري، ٧/٢٨٧، وزاد المعاد، ٣/١٧٣، والرحيق المختوم، ص٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ٧/٢٨٧، (رقم ٣٩٥٢)، وكتاب التفسير، ٨/٢٧٣، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ٣/١٤٠٣ (١٧٧٩)، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢/١٩٤.

ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه[1]: «**اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فمازال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي اللَّه كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل اللَّه – عز وجل -: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[2] فأمده اللَّه بالملائكة[3].

وقد خرج رسول اللَّه ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[4].

وقاتل ﷺ في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر رضي الله عنه كما كانا في العريش يُجاهِدان بالدعاء

---

(١) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي، ١٢/٨٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ٣/١٣٨٣، (رقم ١٧٦٣)، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ ٧/٢٨٧، (رقم ٣٩٥٢)، وانظر: الرحيق المختوم، ص٢٠٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٥، والحديث في البخاري مع الفتح، ٧/٢٨٧، (رقم٣٩٥٣).

والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين»[١].

وكان أشجع الناس الرسول ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»[٢].

وعنه رضي الله عنه قال: «كنا إذا حمي البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه»[٣].

٢ – مواقفه الحكيمة في غزوة أحد:

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله ﷺ في غزوة أحد، فقد كان يقاتل قتالاً عظيماً؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل فكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا من الرُّماة فجازوا منه،

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٣/٢٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ١/٨٦، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢/١٤٣.

(٣) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ،٢/١٤٣، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية، ٣/٢٧٩، إلى النسائي.

وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم **الله** من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول **الله** ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول **الله** ﷺ[(1)].

وكان حول النبي ﷺ رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه، وقربوا منه: ((**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة**))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً فقال: ((**من يردهم عنا وله الجنة**))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول **الله** ﷺ لصاحبيه: ((**ما أنصفنا أصحابنا**))[(2)].

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول **الله** ﷺ أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول **الله** ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول **الله** ﷺ الحربة من

(1) انظر: زاد المعاد، ٣/١٩٦، ١٩٩، والرحيق المختوم، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ٣/١٤١٥، (رقم ١٧٨٩).

الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة(1).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرحَ وجه النبي ﷺ وكُسرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة – عليها السلام – تغسل الدم، وعليٌّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم»(2).

وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو

---

(1) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣/١٩٩، والرحيق المختوم، ص٢٦٣، وروى قصة قتل النبي ﷺ لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٤/٣٢، وكلاهما مرسل، والطبري، ٢/٦٧، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص٢٢٦.

(2) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة، (رقم ٢٩١١)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ٣/١٤١٦، (رقم ١٧٩٠).

نبي الله ﷺ ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وعلى رأسهم محمد ﷺ قد كانوا[2] على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون[3]، قال ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله ﷺ**»، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله عز وجل»[4].

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، ٥١٤/٦، (رقم ٣٤٧٧)، ٢٨٢/١٢، (رقم ٦٩٢٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب عزوة أحد، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٢)، وانظر: شرحه في الفتح، ٥٢١/٦، وشرح النووي لصحيح مسلم، ١٤٨/١٢.

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم، ١٤٨/١٢.

(٣) شرح النووي على مسلم، ١٥٠/١٢ بتصرف.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من جراح يوم أحد، ٣٧٢/٧ (رقم ٤٠٧٣)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٣).

حياتهم، فالنبي ﷺ هو القدوة قد أوذي وصبر[١].

٣- ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين:

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين[٢]، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار... ثم قال: «**أي عباس، ناد أصحاب السمرة**» فقال عباس: - وكان رجلاً صيتاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال ﷺ: «**الآن حمي الوطيس**»[٣].

وظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال[٤].

وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم يوم حنين؟

(١) السيرة النبوية دروس وعبر، ص١١٦.

(٢) كان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد، ٤٦٨/٣.

(٣) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه، ١٣٩٨/٣، (رقم ١٧٧٥).

(٤) انظر: الرحيق المختوم، ص٤٠١، وهذا الحبيب يا محبّ، ص٤٠٨.

قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه[1] وأخفاؤهم[2] حسراً[3] ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقاً[4]، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب — أنا ابن عبد المطلب

اللّهم نزّل نصرك[5]

قال البراء: كنا والله إذا حمر البأس[6] نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ[7].

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله ﷺ

---

(١) جمع شباب. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.

(٢) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.

(٣) حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.

(٤) رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي، ١١٨/١٢.

(٥) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات، ١٤٠٠/٣، (رقم ١٧٧٦)، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر، ٦/ ١٠٥، ٨/٢٧، ٢٨، (رقم ٢٩٣٠).

(٦) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي، ١٢١/١٢.

(٧) رواه مسلم في كتابا الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠١/٣، (رقم ٧٩/١٧٧٦).

منهزماً[1]، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: ((لقد رأى ابن الأكوع فزعاً)). فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: ((شاهت الوجوه))[2]، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[3].

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي ﷺ البغلة في موضع الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه ﷺ وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة – رضي الله عنهم – بشجاعته ﷺ في جميع المواطن[4].

---

(١) قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي ﷺ. انظر: شرح النووي ١٢٢/١٢.

(٢) شاهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي، ١٢٢/١٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠٢/٣، (رقم ١٧٧٧).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، ١١٤/١٢.

٤ – ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة:

ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**»، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: «**لقد وجدته بحراً**»، أو «**إنه لبحر**»[(١)].

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال[(٢)].

قال البراء رضي الله عنه: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ»[(٣)].

وقال أنس في الحديث السابق: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...».

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ١٠/٤٥٥، (رقم ٦٠٣٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٢، (رقم ٢٣٠٧).

(٢) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي ﷺ في مسند أحمد، ١/٨٦، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/١٤٣، وتقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، ٣/١٤٠١، (رقم ٧٩/١٧٧٦)، وتقدم تخريجه.

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» إلى بسمك اللّهم وعن كلمة «محمد رسول الله» إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضر بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها[1].

وجميع ما تقدم من نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله ﷻ أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز

---

(١) انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح، ٣٢٩/٥، (رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وشرح الوثيقة في الفتح، ٣٣٣/٥-٣٥٢، ومسند أحمد، ٣٢٨/٤-٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ، ص٥٣٢.

والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[1].

المطلب الثالث: مواقف الحكمة الفردية

كان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن إساءتهم، ويقابلها بالإحسان، وله ﷺ مواقف في الكرم، والجود، والعفو، والحلم، والرفق، والعدل، تظهر في النقاط الآتية:

١ – موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أُثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم[2]، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) معناه: أن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: فتح الباري، ٨٨/٨.

فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[1].

"ثم خرج رضي الله عنه إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ٨/٨٧، (رقم ٤٣٧٢)، ومسلم – واللفظ له إلا ما بين المعقوفين فمن البخاري – في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، ٣/١٣٨٦، (رقم ١٧٦٤).

أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل(١).

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه عن قريش الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾(٢).

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين(٣).

الله أكبر، ما أحكم النبي محمداً ﷺ. وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ أن يعظموا أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٧/٤ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٨/٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

وقال ابن حجر عن هذا الأثر: «إسناده حسن». انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

وهناك أبيات شعرية له ؓ تدل على تأثره بعفوه ﷺ.

في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه[1].

٢ – موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي أراد قتله:

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد[2]، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً[3] في يده، فقال لي، من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام[4] السيف، فهاهو ذا جالس**»، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[5].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، ٨٩/١٢، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٨/٨.

(٢) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها (ذات الرقاع)، انظر: البخاري مع الفتح، ٤٢٦/٧.

(٣) والسيف صلتاً: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي، ٤٥/١٥.

(٤) شام السيف: أي رده في غمده. انظر: المرجع السابق، ٤٥/١٥.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٩٦/٦، ٩٧، (رقم ٢٩١٠)، وكتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، ٤٢٦/٧، (رقم ٤١٣٥)، ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله – تعالى –، وعصمة الله – تعالى – له من الناس، ٥٧٦/١، (رقم ٨٤٣)، وأحمد، ٣/ ٣١١، ٣٦٤.

وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزاها لأبي بكر =

الله أكبر! ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكِّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلق عظيم وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(1)]، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير[(2)].

٣ – موقفه ﷺ مع اليهودي زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود:

كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار[(3)].

جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً له، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلٌ، وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعنياه

=

الإسماعيلي في صحيحه، ٢/٣٣٥.

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ٧/٤٢٨، وشرح النووي على مسلم، ١٥/٤٤، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث. بل ذكره البخاري في صحيحه، برقم ٤١٣٦.

(٣) انظر: هذا الحبيب يا محبّ، ص٥٢٨، وهداية المرشدين، ص٣٨٤.

تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: «**أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمرٍ**»، فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: «لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً»[1].

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير

---

(١) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: «ورجال إسناده موثقون... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث»، ١/٥٦٦.

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. البداية والنهاية، ٢/٣١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/٢٤٠: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات».

مدبر[1].

فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

٤ – موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَه مَهْ[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه**[3]**، دعوه**»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ.

قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه[4] عليه[5].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ١/٥٦٦.

(٢) مه: كلمة زجر، وهو اسم مبني على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أصلها: ما هذا؟ انظر: شرح النووي، ٣/١٩٣.

(٣) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع السابق، ٣/١٩٠.

(٤) شنه: أي صبه عليه. انظر :المرجع السابق، ٣/١٩٣.

(٥) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، ١/٢٣٦، (رقم ٢٨٥)، والبخاري مع الفتح، بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء، باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد، ١/٣٢٢، (رقم ٢١٩)، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع، ١/٢٢٣، ١٠/٤٤٩، ١٠/٥٢٥.

وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: «اللَّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجرت واسعاً**» يريد رحمة الله[(١)].

وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «**لقد تحجّرت واسعاً**»، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء**»[(٢)].

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه، فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب[(٣)].

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ١٠/٤٣٨، (رقم ٦٠١٠).

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، ١/٢٧٥، (رقم ١٤٧)، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد، ١٢/٢٤٤، برقم ٧٢٥٤، وأخرجه أحمد أيضاً مطولاً، ٢٠/١٣٤، برقم ١٠٥٤٠، وأبو داود مع العون، ٢/٣٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، ٢٠/١٣٤، برقم ١٠٥٤٠، وابن ماجه، ١/١٧٥.

النبي ﷺ أحكم خلق الله، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي ﷺ بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: "اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً": «لقد تحجرت واسعاً»، يريد ﷺ رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال ﷻ: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[1]، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وقد أثنى الله ﷻ على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾[2].

وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك، فأنكر عليه النبي ﷺ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

بالحكمة[1].

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين:

١- إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.

٢- وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأمر النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما[2].

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه – كما تقدم – وفي رواية

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/٤٣٩.

(٢) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ١/٣٢٥، وشرح النووي على مسلم، ٣/١٩١.

الإمام أحمد: فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب[1].

فقد أثّر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل[2].

٥ – موقفه ﷺ مع معاوية بن الحكم:

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينما أنا أصلي مع رسول **الله** ﷺ **إذ عطس** رجل من القوم، فقلت: يرحمك **الله!** فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول **الله** ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني[3] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول **الله** ﷺ.

قلت: يا رسول **الله!** إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء **الله** بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل، ١/١٧٥، (رقم ٥٢٩)، وتقدم تخريجه عند أحمد.

(٢) انظر: فتح الباري، ١/٣٢٥، وشرح النووي، ٣/١٩١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ٢/٣٩، وتحفة الأحوذي، شرح سنن الترمذي، ١/٤٥٧.

(٣) ما كهرني: أي ما قهرني ولا نهرني. انظر: شرح النووي، ٥/٢٠.

قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**»(١)، (قال ابن الصلاح: فلا يصدنكم)، قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: «كان **نبي من الأنبياء يخط، فما وافق خطه فذاك**»(٢).

قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أحد والجوَّانية(٣) فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها، قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»(٤).

وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي أوتيها النبي ﷺ، وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية رضي الله عنه؛ لأن النفوس

---

(١) قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، ولكن لا تمتنعوا بسببه عن التصرف في أموركم. انظر: المرجع السابق، ٥/٢٢.

(٢) اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له؛ ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وقيل: إنه نُسخ في شرعنا. فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن فهو محرم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/٢٣.

(٣) الجوانية: موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد. انظر: المرجع السابق ٥/٢٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ١/٣٨١، (رقم ٥٣٧)، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي، ٥/٢٠.

مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

٦ – موقفه ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي:

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فأبت عليه وعصت، وأبطئوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوساً هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «**اللَّهم اهد دوساً وائت بهم، اللَّهم اهد دوساً وائت بهم**»(1).

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتأنيه في الدعوة إلى الله عز وجل؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛

(١) البخاري مع الفتح، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ٦/١٠٧ (رقم ٢٩٣٧)، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ٨/١٠١، (رقم ٤٣٩٢)، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين ١١/١٩٦ (رقم ٦٣٩٧)، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطيئ، ٤٠/١٩٥٧، (رقم ٢٥٢٤)، وأخرجه أحمد واللفظ له، ٢/٢٤٣، ٤٤٨، وانظر: البداية والنهاية، ٦/٣٣٧، ٣/٩٩، وسيرة ابن هشام، ١/٤٠٧.

ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين(١).

الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.

وهذا مما يوجب على الدعاة إلى الله ﷻ العناية بالحلم في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

٧- موقفه ﷺ مع الشاب الذي استأذنه في الزنا:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا له: مه مه! فقال له: «**ادنه**»، فدنا منه قريباً، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١/٣٤٦، وزاد المعاد، ٣/٦٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/٢٢٥.

جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللَّهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهذا الموقف العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله ﷻ أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولاسيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما بين لنا الرسول ﷺ الرّفق بفعله بينه لنا بقوله، وأمرنا بالرفق في الأمر كله.

وكما بين لنا الرسول ﷺ الرفق بفعله بينه لنا بقوله، وأمرنا بالرفق في الأمر كله. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله أولم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ٢٥٦/٥، ٢٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: «رجاله رجال الصحيح »، ١٢٩/١، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠، ج١.

تسمع ما قالوا؟ قال رسول **الله** ﷺ: «**قد قلت: وعليكم**»(١).

وقال ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزع من شيء إلا شانه**»(٣).

وبين ﷺ أن من حُرِمَ الرفق فقد حرم الخير، قال ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»(٤).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**»(٥)، وعنه رضي الله عنه يبلغ به قال: «**من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من**

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ١٠/٤٤٩، (رقم ٦٠٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها، ٤/٢٠٠٤، (رقم ٢٥٩٣).

(٣) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً، ٤/٢٠٠٤، عن عائشة رضي الله عنها أيضاً (رقم ٢٥٩٤).

(٤) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ٤/٢٠٠٣، (رقم ٢٥٩٢).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق، ٤/٣٦٧، (رقم ٢٠١٣)، وقال حديث حسن صحيح ، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/١٩٥.

الخُلُق الحسن»[١]. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»[٢].

فقد عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً؛ لكي تعمل أمتهُ بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى **الله** ﷻ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم. وهذه الأحاديث السابقة تبين فضل الرفق، والحث على التخلق به، وبغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

فالرفق سبب لكل خير؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، ومالا يأتي من ضده[٣].

وقد حذر النبي ﷺ من العنف، وعن التشديد على أمته ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول **الله** ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللّهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٦/٤٥١، انظر: الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم ٨٧٦، فقد ذكر له شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه أحمد، ٦/١٥٩، وإسناده صحيح، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٥١٩.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٦/١٤٥، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/٤٤٩، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، ٦/١٥٤.

أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[١]، وكان ﷺ إذا أرسل أحداً من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: «**بشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا، ويسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا**»[٢].

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ رضي الله عنهما حينما بعثهما إلى اليمن: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختلِفَا**»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يسِّرُوا ولا تعسِّرُوا، وبشِّرُوا ولا تنفِّرُوا**»[٤].

في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي ﷺ في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأن الإنسان قد يفعل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ١٤٥٨/٣، (رقم ١٨٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ١٣٥٨/٣، (رقم ١٧٣٢).

(٣) البخاري مع الفتح في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ٦٢/٨، (رقم ٤٣٤٤، ٤٣٤٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ١٣٥٩/٣، واللفظ له، (رقم ١٧٣٣).

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١٦٣/١، (رقم ٦٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ١٣٥٩/٣، (رقم ١٧٣٢).

التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويبشر في وقت وينفر في وقت آخر، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسِّر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات؛ فإذا قال ولا تعسِّرُوا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي ﷺ قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قرب إسلامه وترك التشديد عليه، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويُتلطّف بهم في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة، أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً الازدياد منها، ومتى عُسِّرت عليه أوْشَكَ أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا يستحليها[1]. وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، ٤١/١٢، بتصرف يسير، وفتح الباري، ١٦٣/١.

في الأيام كراهة السَّآمة عليهم[١].

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم[٢].

٨ – موقفه ﷺ مع من شفع في ترك إقامة الحد:

قد كان النبي ﷺ أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول ﷺ لم يحابِ في ذلك ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.

فعن عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فأُتِيَ بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، فقال: «**أما بعد، أيها**

(١) انظر: فتح الباري، ١/١٦٢، ١٦٣.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٢/٢١٣.

الناس: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ[1].

إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله ﷻ به في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**﴾[2]. وقال: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾[3].

ولاشك أن هذا الموقف الحكيم وغيره من مواقفه ﷺ مما يوجب على الدعاة تطبيقها أسوة به ﷺ[4].

---

(١) البخاري مع الفتح بنحوه مختصراً في كتاب الحدود، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع، ٨٦/١٢، (رقم ٦٧٨٧)، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ٨٧/١٢، ٥١٣/٦، ١٩٢/٥، (رقم ٦٧٨٨)، ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ١٣١٥/٣، (رقم ١٦٨٨)، وانظر: شرح النووي، ١٨٦/١١، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٩٥/١٢، ٩٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٤) انظر مواقف حكيمة في هذا الشأن في: سنن أبي داود، ٢٤٢/٢، والترمذي، ١٣٧/٣، والنسائي، ٦٤/٧، وانظر أيضاً البخاري مع الفتح، ٢٩٢/٣، ١٤٣/٢، ٣١٢/١١، ١١٢/١٢، ومسلم، ٤٥٨/٣، وهذا الحبيب يا محب، ص٥٣٤، ٥٣٥.

٩ – موقفه ﷺ الحكيم في الكرم والجود:

عن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال: فجاءَه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[(١)].

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ﷺ، وغزارة جوده[(٢)].

وكان ﷺ يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله عز وجل وترغيباً للناس في الإسلام، وتأليفاً لقلوبهم، وقد يُظهر الرجل إسلامه أولا للدنيا ثم – بفضل الله تعالى ثم بفضل النبي ﷺ ونور الإسلام – لا يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه،

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ١٨٠٦/٤، (رقم ٢٣١٢).

(٢) انظر أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان ٣٠/١ (رقم ٦)، وكتاب الأدب، باب حسن الخلق وما يكره من البخل، ٤٥٥/١٠ (رقم ٦٠٣٣)، وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: لو أن مثل أحد ذهباً، ٢٦٤/١١، (رقم ٦٤٤٥)، ٣٠٣/١١، (رقم ٦٤٧٠)، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع، ٤٧٤/٤، وكتاب التمني باب تمني الخير وقول النبي ﷺ: لو أن لي أحد ذهباً، ١٧/٣، (رقم ٢٢٩٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ١٨٠٥/٤، ١٨٠٦، (رقم ٢٣١١، ٢٣١٢)، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة، ٧٣٠/٢، (رقم ١٠٥٧)، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، ٦٨٧/٢، (رقم ٩٩١).

فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها[1].

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح – فتح مكة – ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ[2].

وقال أنس رضي الله عنه: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»[3].

وإذا رأى ﷺ الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان ﷺ يجزل له في العطاء، قال ﷺ: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه**»[4].

ولذلك كان ﷺ «**يعطي رجالاً من قريش مائة من الإبل**»[5].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، ١٥/٧٢.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ٤/١٨٠٦، (رقم ٢٣١٣).

(٣) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً، ٤/١٨٠٦، (رقم ٢٣١٢/٥٨).

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ٣/٣٤٠، (رقم ١٤٧٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، ٣/٧٣٣، (رقم ١٠٥٩).

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، ٦/٢٤٩، (رقم ٣١٤٧).

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله ﷺ مع المرأة المشركة صاحبة المزادتين، فإنه ﷺ بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزادتان أشد ملاءةً منها حين ابتدأ فيها قال لأصحابه: «**اجمعوا لها**»، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة – حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: «اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك[1] من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا».

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك الصرم[2] بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا[3].

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام[4].

---

(١) أي: لم ننقص من مائك شيئاً. انظر: فتح الباري، ١/٤٥٣.

(٢) الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري، ١/٤٥٣.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ٦/٥٨٠، (رقم ٣٥٧١)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ١/٤٧٦، (رقم ٦٨٢).

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، ١/٤٤٨، (رقم ٣٤٤).

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

الأمر الأول: ما رأته من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من معجزات النبي ﷺ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي ﷺ حين أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها، لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي ﷺ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سبباً لإسلامهم[1].

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر كرم النبي ﷺ، فما أحوجنا، وما أولى جميع الدعاة إلى الله ﷻ إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والاقتباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

١٠ – مواقف النبي ﷺ مع زعيم المنافقين عبد اللَّه بن أُبيّ:

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبد الله بن أُبيّ، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليُتَوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله –

(١) انظر: فتح الباري، ٤٥٣/١.

تعالى – برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقداً وعداوة وبغضاً، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهاً مصراً على النفاق والحقد والعداوة[1]، ولم يأل جهداً في الصد عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب عن اليهود ومساعدتهم.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام؛ ولأن له أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعل، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

(أ) شفاعته لليهود (بنو قينقاع) عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين[2]، فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يوماً، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فَكُتِّفُوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٢١٦، والبداية والنهاية، ٤/١٥٧.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٤٢٧، والبداية والنهاية، ٤/٤، والرحيق المختوم، ص٢٢٨، وهذا الحبيب، ص٢٤٦.

النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع(١)، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له(٢)، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه(٣).

(ب) ما فعله مع النبي ﷺ يوم أُحد:

خرج النبي ﷺ إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أُبيّ بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر رضي الله عنهما فوبّخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم(٤).

---

(١) الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: المعجم الوسيط، مادة (حسر)، ١/١٧٢، ومادة (درع)، ١/٢٨٠.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/٤٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٤.

(٣) انظر: زاد المعاد، ٣/١٢٦، ١٩٠.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٩٤، وسيرة ابن هشام، ٣/٨، ٣/٥٧، والبداية والنهاية، ٤/٥١.

فلم يعاقبه رسول اللَّه ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

(ج) صده الرسول ﷺ عن الدعوة إلى اللَّه تعالى:

ركب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة، فمر بعدو اللَّه عبد اللَّه بن أُبيّ وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى اللَّه ﷻ، وذكَّر باللَّه، وحذر وبشر وأنذر، وعندما فرغ النبي ﷺ من مقالته، قال له عبد اللَّه بن أُبيّ: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغته[1]، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه[2]، فلم يؤاخذه النبي ﷺ وعفا عنه وصفح.

(د) تثبيته بني النضير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد بِهَمِّهِم بقتل النبي ﷺ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق – وعلى رأسهم عبد اللَّه بن أُبيّ – أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول اللَّه ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف اللَّه في قلوبهم الرعب،

---

(١) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: القاموس المحيط، باب التاء، فصل الغين، ص٢٠٠، والمعجم الوسيط، مادة (غت)، ٦٤٤/٢.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ٢١٨/٢، ٢١٩.

وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام[1].

وترك النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ فلم يعاقبه على ذلك.

(هـ) كيده وغدره للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أُبيّ بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه منها:

١- دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبد الله بن أُبيّ بن سلول[2].

٢-وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبيّ: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**﴾[3].

٣-وفي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿**لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ**

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ١٩٢/٣، والبداية والنهاية، ٧٥/٤، وزاد المعاد، ١٢٧/٣.

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٤٣١/٧، (رقم ٤١٤١)، وكتاب التفسير، سورة النور، باب ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ ٤٥٢/٨، (رقم ٤٧٥٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك، ٢١٢٩/٤، وزاد المعاد، ٢٥٦/٣-٢٦٨.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وانظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، ٦٤٨/٨، ٦٥٢، (رقم ٤٩٠٥)، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية، ٥٤٦/٦، (رقم ٣٥١٨)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ١٩٩٨/٤، (رقم ٦٣/٢٥٨٤)، وانظر: سيرة ابن هشام، ٣٣٤/٣.

اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا﴾[1].

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقطع دابر الشر – بفضل الله ثم بصبره – على عبد الله بن أُبيّ، وتحمله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب – حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق -: «**دعه حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[2].

فلو قتله رسول الله ﷺ لكان ذلك منفِّراً للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أُبيّ مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمداً يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعطل المصالح.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٧.

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، ٨/٦٤٨، (رقم ٤٩٠٤)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٤/٢١٤٠، (رقم ٢٧٧٢).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ٨/٦٤٨، ٨/٦٥٢، ٦/٥٤٦، (رقم ٤٩٠٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ٤/١٩٩٨، (رقم ٦٣/٢٥٨٤).

فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أُمر بالحكم الظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أُبيّ فقال: "قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري"[1].

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداء بنبيهم ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ١٨٥/٤، وانظر: شرح النووي على مسلم، ١٣٩/١٦، وهذا الحبيب يا محبّ، ص٣٣٦.

فهرس الموضوعات

كتب للمؤلف

١- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة
٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٣- شرح العقيدة الواسطية
٤- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة
٥- الثمر المجتنى: مختصر شرح أسماء الله الحسنى
٦- الفوز العظيم والخسران المبين
٧- النور والظلمات في الكتاب والسنة
٨- نورالتوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٩- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
١٠- نورالإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة
١١- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
١٢- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
١٣- نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة
١٤- نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة
١٥- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال
١٦- الاعتصام بالكتاب والسنة
١٧- تبريد حرارة المصيبة في ضوء الكتاب والسنة
١٨- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (٢/١)
١٩- طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة
٢٠- منزلة الصلاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٢١- الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنة
٢٢- إجابة النداء في ضوء الكتاب والسنة
٢٣- شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٢٤- قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين في ضوء الكتاب
٢٥- أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة
٢٦- الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٢٧- سجود السهو: مشروعيته ومواضعه وأسبابه في ضوء الكتاب
٢٨- صلاة التطوع: مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع في ضوء الكتاب
٢٩- قيام الليل: فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنة
٣٠- صلاة الجماعة: مفهوم،وفضائل،وأحكام،وفوائد، وآداب
٣١- المساجد، مفهوم،وفضائل،وأحكام،وحقوق،وآداب
٣٢- الإمامة في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٣٣- صلاة المريض في ضوء الكتاب والسنة
٣٤- صلاة المسافر في ضوء الكتاب والسنة
٣٥- صلاة الخوف في ضوء الكتاب والسنة
٣٦- صلاة الجمعة في ضوء الكتاب والسنة
٣٧- صلاة العيدين في ضوء الكتاب والسنة
٣٨- صلاة الكسوف في ضوء الكتاب والسنة
٣٩- صلاة الاستسقاء في ضوء الكتاب والسنة
٤٠- أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنة
٤١- ثواب القرب المهداة إلى أموات المسلمين في ضوء الكتاب والسنة
٤٢- صلاة المؤمن في ضوء الكتاب والسنة(٣/١)
٤٣- منزلة الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٤٤- زكاة بهيمة الأنعام في ضوء الكتاب والسنة
٤٥- زكاة الخارج من الأرض في ضوء الكتاب والسنة
٤٦- زكاة الأثمان: الذهب والفضة في ضوء الكتاب والسنة
٤٧- زكاة عروض التجارة في ضوء الكتاب والسنة
٤٨- زكاة الفطر في ضوء الكتاب والسنة
٤٩- مصارف الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- صدقة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥١- الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٢- فضائل الصيام وقيام رمضان في الكتاب والسنة
٥٣- الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٤- العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة
٥٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر
٥٦- رمي الجمرات في ضوء الكتاب والسنة
٥٧- مناسك الحج والعمرة في الإسلام
٥٨- الجهاد في سبيل الله:فضله،وأسباب النصر على الأعداء
٥٩- المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة
٦٠- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٦١- من أحكام سورة المائدة
٦٢- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى
٦٣- مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
٦٤- مواقف الصحابة ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
٦٥- مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
٦٦- مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله تعالى
٦٧- مفهوم الحكمة في ضوء الكتاب والسنة
٦٨- كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٦٩- كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧٠- كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧١- كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب
٧٢- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
٧٣- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري رحمه الله (٢/١)
٧٤- العلاقة المثلى بين العلماء ووسائل الاتصال الحديثة
٧٥- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة (٤/١)
٧٦- الدعاء من الكتاب والسنة
٧٧- حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
٧٨- ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة
٧٩- العلاج بالرقى من الكتاب والسنة
٨٠- شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة
٨١- تصحيح شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
٨٢- تصحيح شرح الدعاء من الكتاب والسنة
٨٣- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة
٨٤- عظمة القرآن الكريم وتعظيمه وأثره في النفوس
٨٥- صلة الأرحام في ضوء الكتاب والسنة
٨٦- بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنة
٨٧- سلامة الصدر في ضوء الكتاب والسنة
٨٨- أنواع الصبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنة
٨٩- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة
٩٠- آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة
٩١- الغفلة:خطرها،وأسبابها،وعلاجها
٩٢- الحجاب والاختلاط في ضوء الكتاب والسنة (تحت الطبع)
٩٣- الهدي النبوي في تربية الأولاد
٩٤- الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة (تحت الطبع)
٩٥- وداع الرسول ﷺ لأمته
٩٦- رحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس ﷺ
٩٧- مواقف لا تنسى من سيرة والدتي رحمها الله
٩٨- أبراج الزجاج في سيرة الحجاج تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله
٩٩- الجنة والنار: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
١٠٠- غزوة فتح مكة: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
١٠١- سيرة الشاب الصالح عبد الرحمن بن سعيد بن علي رحمه
١٠٢- مجموع رسائل الشاب الصالح
١٠٣- مجموع الخطب المنبرية (تحت الطبع)
١٠٤ الغناء والمعازف في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة

كتب (مترجمة) للمؤلف

* أولاً: حصن المسلم باللغات الآتية

١- حصن المسلم باللغة الإنجيزية
٢- حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣- حصن المسلم باللغة الأوردية
٤- حصن المسلم باللغة الإندونيسية
٥- حصن المسلم باللغة البنغالية
٦- حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧- حصن المسلم باللغة السواحلية
٨- حصن المسلم باللغة التركية
٩- حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠- حصن المسلم باللغة الفارسية
١١- حصن المسلم باللغة المالبيارية
١٢- حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣- حصن المسلم باللغة اليوربا
١٤- حصن المسلم باللغة البشتو
١٥- حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦- حصن المسلم باللغة الهندية
١٧- حصن المسلم باللغة الماليزية
١٨- حصن المسلم باللغة الصينية
١٩- حصن المسلم باللغة الشيشانية
٢٠- حصن المسلم باللغة الروسية
٢١- حصن المسلم باللغة الألبانية
٢٢- حصن المسلم باللغة البوسنية
٢٣- حصن المسلم باللغة الألمانية
٢٤- حصن المسلم باللغة الإسبانية
٢٥- حصن المسلم باللغة الفلبينية (مرناو)
٢٦- حصن المسلم باللغة الفلبينية (تجالوج)
٢٧- حصن المسلم باللغة الصومالية
٢٨- حصن المسلم باللغة الطاجكية
٢٩- حصن المسلم باللغة الأذرية
٣٠- حصن المسلم باللغة اليابانية
٣١- حصن المسلم باللغة النيبالية
٣٢- حصن المسلم باللغة الأنكو
٣٣- حصن المسلم باللغة التلغو (جاليات الجهراء بالكويت)
٣٤- حصن المسلم باللغة الهولندية (تحت الطبع)
٣٥- حصن المسلم باللغة الشركسية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٦- حصن لمسلم. قرغيزي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٧- حصن المسلم باللغة الرومانية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٨- حصن المسلم باللغة الفيتنامية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٩- حصن المسلم باللغة السنهالية (مكتب الجاليات بالربوة)
٤٠- حصن المسلم، ملايو (موقع دار الإسلام)
٤١- حصن المسلم، سندي (موقع دار الإسلام)
٤٢- شرح حصن المسلم، أوزبكي (موقع دار الإسلام)

* ثانياً: كتب مترجمة باللغة الأوردية:

٤٣- لعروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٤٤- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
٤٥- شروط الدعاء وموانع الإجابة
٤٦- الدعاء من الكتاب والسنة
٤٧- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٤٨- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٤٩- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٥١- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٥٢- طهور المسلم (مكتب الجليات بالسليل(وادي الدواسر)
٥٣- منزلة الصلاة في الإسلام (الجليت بحي السلام الريض)
٥٤- صلاة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥٥- نور التقوى وظلمات المعاصي (دار السلام)
٥٦- نور الإسلام وظلمات الكفر (دار السلام)
٥٧- الفوز العظيم والخسران المبين (دار السلام)
٥٨- النور والظلمات في الكتاب والسنة (دار السلام)
٥٩- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (دار السلام)
٦٠- نور الهدى وظلمات الضلال (دار السلام)
٦١- نور الشيب وحكم تغييره (دار السلام)
٦٢- رحمة للعالمين (دار السلام)
٦٣- شرح العقيدة الواسطية (موقع دار الإسلام)

* ثالثاً: كتب مترجمة للغات الأخرى

٦٤- مرشد الحاج والمعتمر والزائر (باللغة المالبيارية)
٦٥- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الفارسية)
٦٦- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (باللغة الإندونيسية)
٦٧- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة باللغة المالبيارية
٦٨- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة اللوغندية)
٦٩- صلاة المريض (باللغة التاميلية-دار السلام)
٧٠- رحمة للعالمين (باللغة الإنجليزية-دار السلام)
٧١- الدعاء من الكتاب والسنة(باللغة الإنجليزية- دار السلام)
٧٢- صلاة الجماعة (باللغة البنغالية مكتب الجاليات بالروضة)
٧٣- رحمة للعالمين باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٧٤- نور لسنة وظلمات البدعة. بنغالي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٧٥- نور الإيمان وظلمات النفاق. بوسني(موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٧٦- لدعاء من لكتاب والسنة. شيشاني (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٧٧- الاعتصام بلكتاب ولسنة. إسباني (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٧٨- منزلة لصلاة في الإسلام. فارسي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٧٩- شرح لسماء الله الحسنى. فارسي (موقع دار الإسلام بجليات لربوة)
٨٠- صلاة المسافر. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨١- العلاج بالرقى. فارسي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٢- نور التوحيد وظلمات لشرك. كردي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٣- نور لسنة وظلمات البدعة. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٤- نور الإخلاص. كردي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٥- العلاج بالرقى. كردي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٦- مرشد الحاج ولمعتمر. روماني (موقع دار الإسلام بجاليات لربوة)
٨٧- الحج والعمرة. تركي (موقع دار الإسلام بجليات الربوة)
٨٨- فضائل الصيام وقيام رمضان. فيتنامي (موقع دار الإسلام)
٨٩- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى. يوربا (موقع دار الإسلام)
٩٠- صلاة التطوع. صيني (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩١- منزلة الصلاة في الإسلام. صيني (موقع دار الإسلام)
٩٢- ورد الصباح والمساء باللغة الإنجليزية (دار السلام)



يطلب من :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعـلان

ص ب : ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١

هاتف ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

ردمك ، ٦ ـ ٧٩٣ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ ـ ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض
E. Mail: safir777press@hotmail.com